فَجِيعَةُ مِصْر

بِأيِ فَـــاجِعَـــةٍ يَـــامِصْـــرُ لَمْ تُصَبِ ؟
مَـــانَـــابِكِ اليَـــوْمَ يُنْسِـــي أفْظَعَ النُّـــوبِ
رُزْءٌ لِـــرَجَّتِـــهِ الأهْـــرَامُ قَـــدْ ذُعِـــرَتْ
لَـــوْلاَ تَجَلُّـــدُهَـــا انْهَـــارَتْ مِنَ الـــرُّعُبِ
لَـــوْ كَـــانَ صُنْعَ عَـــدُوٍ مَـــامُنيتِ بِـــهِ
عَـــاجَلتِـــهِ بِعِقَـــابٍ غَيْـــرِ مُـــرْتَقَبِ
لَكِنَّهَـــــا أُمُّنَـــــا الأرْضُ التِـــي غَضِبَتْ
وَالأرْضُ تَهْتَـــزُّ أحْيَـــانـــاً مِنَ الغَضَبِ !
هَـــدَّت بِهَـــا قِمَمَ العُمْـــرَانِ شَـــامِخَـــةً
وَدَمَّـــرَتْ كُـلَّ مَـــرْفُـــوعٍ مَـنَ القِبَبِ
تَـوَاضَعَـت بَعْـدَمَـا كَـانَتْ شَـوَامِخُهَـا
تَكَـــادُ تَحْمِلُ مَنْ فِيهَـــا إلَـى السُّحُبِ !
وَحَـــوَّلْتَهَـــا رُكَـــامـــاً مُـــرْعِبـــاً وَرُبىً
شَـوْهَـاء تَحْضُنُ مَـوْتَـاهَـا بِـلاَ حَـدَبِ
كَمْ مِنْ شَبَـابٍ وَمِـنْ شِيبٍ هَـوَت بِهِمُـو
فِي لَحْظَـــةٍ وَطَـــوَتْهُمُ طَـيَّ مُسْتَلِبِ
مَنْ لَمْ يَمُـتْ تَحْتَ أنْقَـاضٍ بِهِـــزَّتِهَـــا
أَلْقَى بِأنْفَـاسِـــهِ مِـن هِـــزَّةِ الـــرُّعُبِ !

قَـدْ أوْسَعَـت دُورهَـا هَـدماً وَزلـزلَـةً
وَغَـادَرتهَـا كَأجْسَـامٍ بِـلاَ عَصَبِ !
دَبَّتِ لِمِصْـرَ أفَـاعِيهَـا مُـدَاهِمَـةً
وَمَنْ تُـدَاهِمْـه لَمْ يَسْلَم مِـنَ العَطَبِ
والأرْضُ حُبلَى وَفِـي أرْحَـامِهَـا نُطَفٌ
هَـذِي الكَـوَارِثُ مِنْهَـا أكْبَـرُ العَجَبِ !
بُعْـداً لِـزَائِرَةٍ لَـمْ تَأتِ فِي خَفَـر
لَيْـلاً وَلَمْ تَـزُرِ الأحْبَـابَ فِي حُجُبِ !
تَمْضِي كَـأسْـوَإِ مَـاتَـاتِي مُخَلِّفَـةً
وَرَاءَهَـا كُلَّ مَفْجُـوعٍ وَمُكْتَئِـبِ

* ● *

يَـارُبَّ أُمٍّ طَـوَتْهَـا وَهِيَ حَـانِيَـةٌ
عَلَى ابْنِهَـا، وَيَتِيـمٍ عَـاشَ دُونَ أبِ
ورُب شَيْخٍ طَـوَتْـهُ الأرْضُ وَهْـوَ عَلَى
تُـرَابِهَـا سَـاجِـدٌ يَجْثُـو عَلَى الـرُّكَبِ
وَمَحْفِلٍ كَـانَ بِـالأضْـوَاء مُـؤتَلِقـاً
وَبِـالمَبَـاهِجِ يَحْيَـاهَـا وَبِـالطَّـرَبِ
قَـدْ انْطَفَـا النُّـورُ فِـي أبْهَـائِهِ وَبَكَى
غُـرَابُ بَيْنَ عَلى إيـوَانِـهِ الخَـرِبِ

مُصَـــابُ مِصْـــرَ إذَا عُـدَّتْ فَجَـائِعُهَـا
بِمِثْلِـــهِ لَـمْ تُصَب يَـــوْمـــاً وَلَـمْ تُنَبِ
مُصَـــابُهَـا قَـــدَرٌ فِـي طَيِـهِ عِبَـــرٌ
وَجُـــرْحُهَـا دَمُـــهُ مِنْ مُهْجَـةِ العَـرَبِ
مِصْـرُ التِـي فِي سَـوَادِ القَلْبِ مَـوْقِعُهَـا
مِصْـــرُ البُطُـولَاتِ وَالعِـــرْفَـــانِ وَالأدَبِ
ضَمَّتْ حَضَـارَاتِ مَـنْ كَـانُـوا عَمَـالِقَـةً
وَوَاكَبُـــوا النيْـلَ وَالأهْـــرَامَ فِـي الحِقَبِ
أرْضُ المَـــوَاهِبِ وَالإبْـــدَاعِ مَـــافَتِئَتْ
تُعْطِي الـــرَّوَائِع مِنْ أبْنَـــائِهَـــا النُجُبِ
قَـدْ ضَمَّـتِ المَجْـدَ مِنْ أطْـرَافِـهِ وَمَشَتْ
مَـرْفُـوعَـةَ الـــرّأسِ فِي أثْـوَبِهَـا القُشُبِ
تَلَفَّعَت بِـــــرِدَاء المَجْـــــدِ وَانْتَصَبَـتْ
فِي الشّـرْقِ عِمْـلَاقَـةً تَـرْنُـو إلَى الشُهُبِ
شَـــادَتْ بِأمْجَـــادِهَـــا أهَـرَامَ يَعْـرُبنَـــا
بَـالعِلْمِ وَالفِكْـرِ لَا بِـــالصَّخْـرِ وَالخَشَبِ !

* ● *

ذَكَـرْتُ فِيهَـــا صَـلَاحَ الـــدِينِ خَـــافِقَـةً
رَايَـــاتُـــهُ فَـــوْقَ جَيْشٍ عَـــارِمٍ لَجِبِ

واللَّـــهُ أكْبَـــرُ تَعْـــلُـــو فِي كَتَـــائِبِـــهِ
كَأنَّهَـــا الـــرَّعْـــدُ فِـــي الآكَـــامِ وَالهَضَبِ
يَسْعَى إلَى القُـدْسِ فِـي شَـوْقٍ لِيُنْقِـذَهَـا
بِجَيْشِ مِصْـــرَ مِنَ الـــرُّهْبَـــانِ وَالصُّلُبِ
أعْلَى رُؤوسَ بَنَـى الإسْـــــلاَمِ وَانْقَلَبَت
فُلُـــولُ أعْـــدَائِهِ خَـــزْيـىٰ عَلَى العَقِبِ !

* ● *

وَيُسْأَلُ الـدَّهْـرُ عَنْ مِصْـــرٍ فَيَـذْكُـرُ مَـا
قَـدْ قَـدَّمَت مِصْـرُ لِـــلإسْـلاَمِ مِن قُـرَبِ
أَلَمْ يُضِـيء فِي لَيَـالِـي الشّـرْقِ أزْهَـرُهَـا
وَالغَـرْبُ بِـالجَهْلِ وَالإلْحَـادِ فِي صَخَبِ ؟
أَلَمْ تَكُـنْ مُلْتَقىً لِلْفِكْـــرِ يَقْصِـــدُهَـــا
رُوَادُهُ مِن أقَـــاصِي الأرْضِ فِـي خَبَبِ ؟
كَـــانَتْ لِيَعْـــرُب قَلْبـــاً نَـابِضـــاً وَيَـــداً
تَشُـدُّ مِـنْ أزْرِهَـا فِي السِّـــلْمِ وَالحَـرْبِ
أبْطَـالُ (بَـارْلِيفَ) فِـي سِنَـاءَ قَـدْ كَتَبُـوا
مَـــلاَحِمـــاً بِمِـــدَادِ الفَخْـــرِ وَالـــذَّهَبِ !
قَـــرَّتْ بِهِم أعْيُنٌ كَـــانَتْ مُـــؤرَّقَـــةً
وَبَيَّضُـــوا بِـــدِمَـــاهُم أوْجُـــهَ العَـــرَبِ !

وَضَـاقَتِ الأرْضُ عَنْ صَهْيُـونَ فَـانْقَلَبَتْ
إلَى الجُحُـــورِ وَنَـــارُ اللَّـــهِ فِي الطَّلَبِ
وَهَـرْوَلَ الغَـرْبُ مُـرْتَـــاعـاً لِنَجْـدَتِهَـا
وَلاَ بَقَـــــاءَ لِحَيَّـــاتٍ بِـــــلاَ ذَنَبِ !
إنْ تَبْعُـدِ الـدَّارُ عَنْ مِصْـــرٍ وَإخْـوَتِهَـــا
فَمِصْـــرُ فِي القَلْبِ لَمْ تَبْعُـدَ وَلَمْ تَغِبَ !
بَلْـــوَاكِ أكْبَـــرُ أنْ تُنْسَى بِتَسْلِيَـــةٍ
تَـاتِيكِ فِي الشِعْـرِ أوْ تَـاتِيكِ فِي الخُطَبِ
فِي ذِمّـــةِ اللَّـــهِ أكْبَـــادٌ فُجِعَتِ بِهَـــا
وَفِي الفَـــرَادِيسِ تَلْقَى خَيْـــرَ مُنْقَلَبِ
شَيْعَتِهَـــا بِـــدُمُـوعِ الحُـــزْنِ هَـــامِيَـــةً
وَمِنْ وَرَائِكِ دَمْـعُ العُـــــرْبِ فِي صَبَـبِ
هَـــذِي رِسَـــالَـــةُ حُبٍ ! كُلُّ قَـــافِيَـــةٍ
يُطِلُّ مِنْهَـــا حَـــزِينٌ جِـــدُّ مُنْتَحِبِ
يَمُـــدُّ نَحْـــوَكِ أيْـــدِيـــهِ مُـــوَاسِيَـــةً
وَلَـــوْ يُطِيقُ أتَى زَحْفـــاً عَلَى الـــرُكَبِ !